﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢﴾ [ص: 42]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قبلَها:

تـرقُّـبُ إجـابـةِ دُعاءِ أيّوبَ عليه السلام

لـمّا شكا أيّوبُ عليه السلام إلى ربِّهِ ما مسَّهُ منَ الضُّرّ تشوَّفَ السّامعُ إلى جوابِهِ عن ذلك[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱرۡكُضۡ﴾: (ركض) أصل يدُلُّ على حرَكةٍ إلى قُدُمٍ[2]. والرَّكْضُ: الضّربُ بالرِّجْل، فمتى نُسِبَ إلى الرّاكبِ فهو إعداءُ مَركوبٍ، نحوُ: رَكَضْتُ الفرسَ، ومتى نُسِبَ إلى الماشي فوطءُ الأرضِ، نحوُ قولِهِ تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ﴾[3]. ومعنى الرَّكْض في الآية: الضَّربُ في الأرضِ بالرِّجْلِ، وقولُه: ﴿بِرِجۡلِكَۖ﴾ زيادةٌ في بيانِ معنى الفِعْلِ[4].

2) ﴿مُغۡتَسَلُۢ﴾: (غسل) أصل يدُلُّ على تطهيرِ الشَّيءِ وتنقيتِهِ. يُقالُ: غَسلتُ الشَّيءَ غَسْلًا. والغُسْلُ الاسمُ[5]. والمُغْتَسَلُ: المَوضِعُ الَّذي يُغْتَسَلُ فيه، والماءُ الَّذي يُغْتَسَلُ به. والمَغْسِلُ، بكسرِ السّين وفتحها: مَغْسَلُ المَوتى، والجمع المَغاسِلُ. والغُسالَةُ: ما غَسَلْتَ به الشّيءَ[6]. والمقصودُ بالمُغتَسَلِ هنا: اسمٌ للمكانِ الَّذي يُغتسَلُ فيه، أو المرادُ به: الماءُ الَّذي يُغتَسَلُ به[7].

---

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 390، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 398.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ركض).
(3) الجوهري، الصحاح، وابن سيده، المحكم، والراغب، المفردات: (ركض).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 270.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غسل).
(6) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات: (عسل).
(7) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 168.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الأخْذُ بالأسبابِ يَحمِلُ لأيّوبَ الشِّفاءَ والعافيةَ

يذكُرُ الحقُّ سُبحانه إجابتَه لدُعاءِ أيّوبَ ﷺ وما مَنَّ به عليه، فيقولُ: فاستَجَبْنا لأيّوبَ، وقُلْنا له: اضرِبْ برِجْلِك في الأرضِ، ففعَل، فنَبَعَ منها الماءُ، فقُلْنا له: هذا ماءٌ باردٌ تَغتَسِلُ به وتَشرَبُ منه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علّةُ فصلِ الآية:

الإيذانُ باستجابةِ الدُّعاء

وردتِ الجملةُ في قولِه تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ﴾ مفصولةً عن الجملةِ قبلَها؛ لأنّ بينهما (شبهَ كمالِ الاتّصال)، وهو كونُ الجملةِ الثّانيةِ قويَّةَ الارتباطِ بالأولى؛ لوقوعِها جوابًا عن سؤالٍ يُفهَمُ من الجُملةِ الأولى، فتُفصَلُ عنها كما يُفصَلُ الجوابُ عن السّؤال[2]؛ فقد جاءت جملةُ: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ﴾ مقولةً لقولٍ محذوفٍ؛ أي: قُلنا له: اركُضْ برِجْلِكَ، وذلك إيذانٌ بأنّ هذا استجابةٌ لدعائِه[3]، ففي الكلام إيجازٌ بالحذف. والسِّرُّ في ذلك: أنَّ الحالةَ الَّتي وصلَ إليها أيّوبُ ﷺ قد أدّتْ إلى إسقاطِ اللّفظِ الدّالِّ على (الاستجابةِ والقولِ)؛ للدُّخول سريعًا في تقديمِ العِلاج.

دلالةُ الأمرِ ﴿ٱرۡكُضۡ﴾:

الرَّكضُ هو الدَّفْعُ القويُّ بالرِّجلِ

عُبِّر بفعلِ الأمرِ في قولِه تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ﴾ عقيبَ تضرُّعِ أيّوبَ ﷺ لرَبِّه، فكأنّه سأل ربَّه أنْ يزيلَ عنه تلك البليّةَ، فأجابَهُ الله إليه؛ بأنْ قالَ له: ﴿ٱرۡكُضۡ﴾، والرَّكضُ هو الدّفعُ القويُّ بالرِّجل، وأصلُهُ: رَكْضُ الدّابَّةِ بالرِّجْل، ومنه: ركضَ الفرسَ، وهذا من باب اتّخاذِ أسبابِ الشّفاء[4]. والفعلُ دالٌّ على عودةِ الشّفاء إلى رجلِه أوَّلًا؛ لأن

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 107، 108، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 211، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 714.

(2) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 180.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 270.

(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 398، والقونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 422.

حالَه قاربت الموتَ، فلمّا جاءهُ الأمرُ بالرَّكض بدأت الحياةُ تَدِبُّ في الإعضاءِ بقُدرة اللّه تعالى، وما الأمرُ بالرّكضِ إلّا مباشرةُ سببٍ، وأمّا الشِّفاءُ فأمرٌ مختصٌّ باللّه وحدَه، وفي هذا الأمرِ بعدَ الطّلب كنايةٌ عن الاستجابةِ وعودةِ الشّفاءِ له.

دلالةُ (الباء) في ﴿بِرِجْلِكَ﴾:

وردَ الفعل ﴿ٱرْكُضْ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ مُتعدّيًا بحرفِ الباءِ، ومعناها الاستعانةُ بالآلةِ، مثلُ: ضربَهُ بالعصا؛ أي: مُستعينًا بالآلةِ المَخصوصةِ، وفي ذلك دلالةٌ على وجوبِ الأخذِ بالأسبابِ، وإنْ كانَ حصولُ الشّفاء والإقدارُ على الرَّكضِ مَوكولًا إلى اللّهِ تعالى وحدَهُ. وبناءً على ما مرَّ في تفسير (الرَّكض) - وهو النَّخسُ بالرِّجْل للأرض - تكونُ (الباء) للتَّعدية، ولا يكونُ منَ التَّصريحِ بما عُلِم ضِمْنًا؛ لأنَّ النّخسَ يكونُ بأيِّ طرفٍ منَ الأطرافِ، ويكونُ ذكرُ الرِّجْلِ دونَ اليدِ لأنَّها الآلةُ المُستعملةُ للوصولِ إلى مكانِ الاغتسال.

نكتةُ ذكرِ (الرِّجل):

زيادةُ التّصويرِ بذكرِ الجارحةِ معَ الفعل

أوثِرَ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ ذكرُ لفظِ ﴿بِرِجْلِكَ﴾ بعدَ الأمرِ بالرّكض، مع أنّ الرّكضَ في اللُّغةِ لا يكون إلّا بالضّربِ في الأرضِ بالرّجل، والنّكتةُ البلاغيّةُ في ذلك التّصويرُ وزيادةُ البيانِ للفعلِ، واستحضارُ صورةِ الفعلِ ماثلةً في الذّهنِ، نحوُ قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: 38][1].

علّةُ الفصلِ في: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ﴾:

الإيجازُ وبيانُ العلّةِ أروعُ في النَّظم

وردتِ الجملةُ في قولِهِ تعالى: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ مفصولةً عن الجملةِ قبلَها، وهي قولُهُ تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾؛ لأنّها مقولةٌ لقولٍ محذوفٍ، والتّقديرُ: فركضَ الأرضَ فنبعَ ماءٌ،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 270.

فقلنا له: هذا مُغتسَلٌ باردٌ وشرابٌ. ولا يبعدُ أنْ يكونَ علّةً للأمرِ بالرّكض لعلاقةِ (شبهِ كمالِ الاتّصال)؛ وكأنَّه جرى في نفسِ أيّوبَ عليه السلام سؤالٌ عن علّةِ الأمرِ بركضِ الأرضِ برجلِهِ؛ فأجيبَ بأنَّ هذا المرئيَّ المُشاهدَ مَكانُ اغتسالِكَ من الأمراضِ والأوبئةِ.

دلالةُ الحذفِ في الآية:

حذفُ ما يُعلَمُ جائزٌ وبليغٌ

دلّتِ الإشارةُ في قولِهِ تعالى: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ على وجودِ إيجازٍ بالحذفِ لأكثرَ من جملةٍ واحدةٍ؛ لدلالةِ ما ذكرَ عليه؛ كقَوْلِه تَعالَى: ﴿فَأَرْسِلُونِ ۝٤٥ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: 45 - 46] الآيةَ، تقديرُهُ: (فضربَ بها، فنبعَتْ عينٌ، فقيلِ: هذا مُغتسَلٌ...)[1].

نكتةُ التّعبيرِ باسمِ الإشارةِ للقريبِ:

قُربُ عينِ الماءِ؛ لسهولةِ تناوُلِ الدّواء

عُبِّرَ في قولِهِ تعالى: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ باسمِ الإشارةِ للقريبِ ﴿هَٰذَا﴾، والنّكتةُ في ذلك الإيماءُ إلى قُربِهِ وسُهولةِ تناوُلِه، كما دلّ السّياقُ على أنّ الإشارةَ إلى ماءٍ؛ لأنّه الّذي يُغتسَلُ به ويُشرَبُ[2]. وظاهرُ لفظِ الإشارةِ يدلّ على أنَّ الرَّكضَ بمعنى النّخسِ والرَّكلِ لا الجَرْيِ في الأرض؛ لأنَّ القُربَ في اسمِ الإشارةِ يدلُّ على أنَّ تحريكَ الرِّجْلِ كان كافيًا في نَبْعِ الماءِ، فأُشيرَ إليه بالقريبِ، ولو كان الرّكضُ جريًا في الأرض لكانَ راكضًا إلى الماء، فيكون الأنسبَ التَّعبيرُ بـ(ذلك) للبعيدِ.

دلالةُ لفظِ ﴿مُغْتَسَلٌۢ﴾:

تحديدُ محلِّ الاغتسالِ يُطفِئُ لهيبَ المَرَضِ

وردَ في قولِهِ تعالى: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ لفظُ ﴿مُغْتَسَلٌۢ﴾، فحملَهُ بعضُ المُفسّرينَ على الموضعِ الّذي يُغتسَلُ فيه، وحملَهُ آخرونَ على الماءِ المُغتسَلِ به، فيكونُ اسمَ مفعولٍ من الفعلِ (اغتسلَ)؛ أي: مُغتسَلٌ به، فهو على حذفِ حرفِ الجرِّ وإيصالِ المُغتسَلِ القاصرِ إلى المفعولِ[3]. ولا يبعدُ أنْ يكونَ مصدرًا ميميًّا، والتَّقدير: هذا اغتسالُكَ،

(1) القونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 422.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 391، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 270.
(3) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 97، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 162.

ويكون من الإخبارِ بالمصدرِ؛ للدّلالةِ على كمالِ ذلك الغُسل بتحقيقِهِ الشّفاءَ التّامّ.

غرضُ الخبرِ في الآية:

سُرعةُ الاستجابةِ كنايةٌ عن كمالِ الرّضا

جاءَ قولُهُ تعالى: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ خِطابًا لأيّوبَ ﷺ، والخبرُ فيه بمعنى الأمر، والتّقديرُ: (اغتسِلْ منهُ واشرَبْ)، وهذا مفهومٌ من قولِهِ: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ﴾؛ إذِ الخبرُ بأنّ هذا مغتسَلٌ لمَن احتاجَ إلَى الغَسْلِ للتَّشفّي قرينةٌ واضحةٌ عَلى أنّ المرادَ الأمرُ بالغَسلِ والشُّربِ منه، وقد أوثِرتْ صيغةُ الخبر؛ لأنّه آكدُ في الدّلالةِ على التَّحقُّقِ وسُرعةِ الامتثال[1].

دلالةُ وصفِ المُغتسَلِ بلفظِ ﴿بَارِدٌ﴾:

أثرُ الماءِ الباردِ في العِلاج

وُصِفَ (المُغتسَلُ) في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ بأنّه ﴿بَارِدٌ﴾، وهو مرجِّح لإرادةِ اسمِ المفعولِ منه وهو الماءُ المُغتسَلُ به، وإنْ أمكنَ أنْ يوصَفَ المحلُّ بالبرودةِ تبعًا لبرودةِ الحالِّ فيه، أو حَدَثُ الاغتسال بالباردِ ببُرودةِ الماءِ المُستعمَلِ فيهِ أيضًا، ووصفُهُ بـ﴿بَارِدٌ﴾ إيماءٌ أيضًا إلى أنّه يُبرّدُ ظاهرَ جِلْدِهِ، وأنّ به زوالَ ما بأيّوبَ من الحمّى من القُروح. ولعلَّ وصفَ المُغتسَلِ بالـ﴿بَارِدٌ﴾ مقابلٌ لقولِهِ في الدُّعاء: ﴿بِنُصْبٍ﴾؛ إذ النُّصْبُ إعياءٌ وتعبٌ من المرضِ لا يَدفعُهُ إلى حالةِ النَّشاطِ إلّا الماءُ الباردُ.

توجيهُ العطفِ بـ(الواو):

الاغتسالُ يُبرئُ الظّاهرَ، والشُّربُ يُبرئُ الباطنَ

جاءَ في قولِهِ تعالى: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ العطفُ باستعمالِ حرفِ (الواو) الدّالّ على الجمعِ والاقتران، فقد أُمِرَ أيّوبُ ﷺ بالجمعِ بينَ الاغتسالِ بذلك الماءِ الّذي فيه شفاؤُهُ والشُّرْبِ منه، فبالاغتسالِ به يَبرأُ ظاهرُهُ، وبالشُّربِ منهُ يَبرأُ باطنُهُ. وهذا

(1) القونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 422.

التَّوجيهُ مبنيٌّ على أنّه من عطفِ المُفردات. أمّا إذا قلنا: إنّه من عطفِ الجُمَلِ والتَّقدير: (وهذا شرابٌ باردٌ) فالنَّظمُ يكونُ مُحتمِلًا لنبع عَينينِ قريبتينِ منه؛ عينٍ للاغتسالِ وعينٍ للشُّربِ منها. ولا يبعُدُ أنْ يكونَ (الشَّرابُ) في مُقابلةِ قولِهِ عندَ الدُّعاء: ﴿وَعَذَابٍ﴾؛ إذِ العذابُ يوحي بالحرارةِ الدّاخليَّة الَّتي تحتاجُ إلى إطفاءٍ، فكانَ الشَّرابُ الباردُ دواءً لذلك العذابِ.

علّةُ تنكيرِ لفظِ (شَراب):

شرابٌ شافٍ من ربٍّ كريم

جاءَ في قولِهِ تعالى: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ لفظُ (شراب) منكَّرًا، والنّكتةُ التّعظيمُ، وبالتّنكيرِ استُغنيَ عن وصفِ الشّراب، إذ منَ المعلوم أنّ الماءَ شرابٌ، فلولا إرادةُ التّعظيمِ لكانَ الإخبارُ عن الماءِ بأنَّه شرابٌ إخبارًا بأمرٍ معلوم، فكان مَأخَذُ تعظيمِ الشّراب هنا هو الاحتفاء بأيّوبَ ﷺ، لأنّه شفاءُ ما بهِ من مرَضٍ[1].

نكتةُ عدمِ وصفِ (شراب):

الحذفُ من الثّاني لدلالةِ الأوّلِ عليه

يُلاحظُ في قولِهِ تعالى: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ عدمُ وصفِ (الشّرابِ) بالبرودةِ، والنّكتةُ في ذلك الاكتفاءُ بالوصفِ السّابق للمُغتسَلِ عن إعادتِهِ مع الشّراب، مع ما في ذلك منَ الحفاظِ على الفاصلةِ القرآنيّةِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرّكض والضَّرْب:

عمومُ آلةِ الضّربِ وخصوصُ آلةِ الرّكضِ

بين لفظِ (الضّربِ) و(الرّكضِ) عمومٌ وخصوصٌ مطلقٌ، فالضَّرْبُ عامٌّ في إيقاعِ شيءٍ على شيءٍ، معَ اختلافِ الضّربِ كضَرْبِ الشَّيءِ باليدِ والعَصا والسّيفِ ونحوِها. وأمّا الرّكضُ فهو خاصٌّ بالضَّربِ في الأرضِ بالرِّجْلِ أوْ ضربِ الأرضِ ونخسِها بالرِّجل.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 271.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»